اجتهادات
الاستثناءُ الفرنسى

موجة التضخم الراهنة عالمية، ولكن معدلاته تتفاوتُ وفقًا لحالة الميزان التجارى فى كل بلد، وحسب معدلات الارتفاع فى أسعار السلع المستوردة. ولهذا يعودُ السبب الرئيس فى ارتفاع المتوسط العام لمعدلات التضخم فى أوروبا إلى حاجتها للإحلال محل إمدادات الوقود الروسى، فى الوقت الذى ارتفعت أسعارُ الغاز والنفط.

ورغم أن معدلات التضخم فى فرنسا تُعدُ أقل بوجه عام مقارنةً ببلدان أوروبية أخرى، إذ بلغت نحو 6.2% فى سبتمبر، فضلاً عن أن أداء اقتصادها أفضلُ من كثير غيره، لم تندلع احتجاجاتُ ضخمة تضمنت إضرابًا عامًا واسع النطاق الثلاثاء الماضى، إلا فى هذا البلد الذى يجوز اعتباره استثناء فى مجال قوة النقابات وقدرتها على التعبئة.

فقد حافظت الكونفدرالية الوطنية للعمل فى فرنسا على مقدارٍ لا يُستهان به من قوتها، وكذلك نقابات أخرى قطاعية ونوعية، فى الوقت الذى ضعفت النقاباتُ فى مختلف أنحاء أوروبا، كما فى العالم عمومًا. لم تعد هذه الكونفدرالية ذات التاريخ العريق

كما كانت لعقودٍ بعد تأسيسها فى نهاية القرن التاسع عشر. ولكنها مازالت قوةً يُحسبُ لها حسابُ كبير حين تحدثُ أزماتُ اقتصادية ومالية تؤثر فى حياة العاملين، إذ إنها تضمُ نقاباتٍ تدافعُ عن مصالح كل من يعملون بأجر وليس عن العمال فقط.

وهذا أحدُ العوامل التى قد تفسرُ الاستثناء الفرنسى فى مجال قوة النقابات حتى اليوم، فى الوقت الذى تقلصت الطبقةُ العاملة واختلف تركيبها كثيرًا عن البروليتاريا التى قصدها كارل ماركس. فقد سبقت هذه الكونفدرالية الفيلسوف المُجّدد هربرت ماركوزة الذى كان أول من توقع انحسار البروليتاريا وضعفها. وتصور, بناءً على ذلك, أن فئاتٍ اجتماعيةً أخرى بينها الطلاب يمكن أن تقوم بدور فى النضال الطبقى. وكانت أفكاره فى كتاب (الإنسان ذو البعد الواحد) الصادر عام 1964 أحد أهم مصادر إلهام اليسار فى جامعات فرنسية وغيرها، فظهرت فى أوساطها دعواتُ لأن يسد الطلابُ الفراغ الناتج عن فقدان الطبقة العاملة ثوريتها. ولا يمكن فصل انتفاضاتُ 1968، التى كان أكبرها فى فرنسا، عن هذه الأفكار التى ساهمت أيضًا فى ظهور ما عُرف حينها باليسار الجديد.